

المبحث الثاني :

مصادر التطرف

المبحث الثاني مصادر التطرف

سبق أن تقرر في مبحث (الإسلام المتطرف) في الفصل الثاني أن المراد بالتطرف لدى الغرب وخبراء (راند): المنهج الذي يحاول أن يأخذ بأصل الإسلام. وهو المراد في هذا المبحث في الأعم الأغلب. ولا يقصد خبراء (راند) (التطرف/ الغلو) بمعناه الشرعي إلا نادرًا، وهو: مجاوزة ما هو مشروع، إلى ما ليس بمشروع. وسواء قُصد معناه الشرعي أم الغربي فإن «التطرف أكثر الأحداث التي تُشغل العالم في وقتنا الحاضر، حديثًا عنه، ومقاومةً له، وتتبعًا لآثاره، وبحثًا عن دوافعه. ولعل تاريخ البشر لم يعرف حشدًا لجهود وإعدادًا لوسائل، ودعوة إلى ملاحقة: كما حُشد من جهد، وأُعدَّ من وسائل، ودُعي إلى ملاحقة لمحاربة التطرف الذي أثمر إرهابًا أو رد فعلٍ لإرهاب»^(١). والدراسة الرئيسة التي تحدثت هنا عن (مصادر التطرف الإسلامي)^(٢) هي دراسة (العالم الإسلامي بعد ٩/١١)، حيث تُقسَّم (مصادر التطرف) في العالم الإسلامي إلى ثلاث فئات: الظروف، والأحداث المتعاقبة، والأحداث المحفزة^(٣). وهذه الثلاث تمثل مطالب هذا المبحث.

(١) التطرف: خبز عالمي، د.راشد المبارك، (دمشق، دار القلم، ١٤٢٧هـ)، ص ١٣.

(٢) (The sources of Islamic radicalism)

(٣) The Muslim World after 9/11. P. xviii

المطلب الأول: الظروف (Conditions):

الظروف: هي العوامل التي تتسم بطابع دائم أو شبه دائم. وهي: فشل النماذج السياسية والاقتصادية، وعدم وجود مرجعية دينية مركزية للسنة^(١).

١ - فشل النماذج السياسية والاقتصادية:

تجمل دراسة (العالم الإسلامي بعد ٩/١١) فشل النماذج السياسية التمثيلية المستقرة، وفشل النماذج الاقتصادية في النمو الاقتصادي المستدام، والتي سادت البلاد الإسلامية بعد استقلالها عن الاستعمار أهم الظروف وأكثرها تأثيراً في توليد كثير من (التطرف). وأدى هذا الفشل إلى ظهور النموذج الإسلامي، تحت شعار: (الإسلام هو الحل)، ونشوء بعض الظروف التي سهلت ظهور (التطرف الإسلامي) باسم مناهضة الغرب، أو مناهضة الأمركة، وهو الاتجاه الشعبي لتجسيد الإحباط تجاه الظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي يشعر بعدم القدرة على تغييرها^(٢). وكان المسار الإسلامي (المتطرف) المناهض للغرب بعامه وللأمريكيين بخاصة، ينطلق من جانبين: الأول: الغضب من سياسة الولايات المتحدة، وبخاصة في دعمها لإسرائيل والنظم المتسلطة، والوجود العسكري الأمريكي في بعض الدول الإسلامية وعلى رأسها أفغانستان والعراق، وقيام الغرب كذلك بتطبيق العقوبات الاقتصادية والحظر الجوي على العراق بعد حرب الخليج عام ١٤١١هـ/١٩٩١م. الجانب الثاني: أن غضب المسلمين على الولايات المتحدة له جذور أكثر عمقاً في الأسس السياسية والاجتماعية، ويختلف عمقها من دولة إسلامية لأخرى، وهذه الجذور تكمن في أن الغرب والولايات المتحدة كانوا متحكمين في التغيير العالمي، فلم يسمحوا في البلدان الإسلامية بوجود قنوات للتعبير السياسي المعارض، كما أنهم كانوا خلف فشل الدول الإسلامية في تحقيق النمو والتقدم المواكب للعصر، بل جعلت بلدان المسلمين في المكانة الأدنى مقارنة بالغرب، كما هددت سلامة المجتمعات الإسلامية وقيمها^(٣).

(١) المرجع السابق: P. xviii-xix

(٢) نفسه: P. xix, 36-39

(٣) نفسه: P. 38-39

وفي موضع مختلف من دراسة (العالم الإسلامي بعد ٩/١١)، تقول: أدت الأزمة الاقتصادية التي اجتاحت جنوب شرق آسيا عام ١٤١٨هـ، الموافق لعامي ١٩٩٧-١٩٩٨م إلى تدهور الظروف الاقتصادية والاجتماعية؛ مما أضعف الحكومات؛ ونتج عنه بيئة مواتية للمناشط السياسية والدينية (المتطرفة)^(١).

وتقول: إن النظم السياسية الاستبدادية تسيطر على الخارطة السياسية العربية، باستثناءات قليلة. وإن الدول العربية لا تزال غارقة في الحكومة المطلقة (الاستبدادية) وسياسة العنف والإقصاء؛ ومن الطبيعي أن يولد هذا الحركات السياسية (المتطرفة)، التي تحمل غالباً لغة (الإسلام السياسي)^(٢).

ويستعرض (فولر، وليسّر) عددًا من القضايا التي تُكوّن التنافر بين العالم الإسلامي والغرب، وتزيد من الصراع بينهما؛ فالعالم الإسلامي يشعر أنه تحت الحصار الغربي في كثير من المجالات الحيوية: السياسية، والعسكرية، والثقافية، والاجتماعية، والاقتصادية^(٣).

ويلاحظ من مجمل الكلام السابق أن المقصود بالتطرف: عودة المسلمين إلى دينهم، وعملهم على إصلاح ما فسد من أحوالهم، على مقتضى الكتاب والسنة.

وإذا افترض أن المقصود بالتطرف مجاوزة ما هو مشروع، فإن الولايات المتحدة وبعض الدول الغربية ما تزال تذكي تلك الظروف، وتزيد بأكثر منها، فهل حقًا يسعى الغرب إلى خفض (التطرف/الغلو) بمفهومه الصحيح، أم أنه يسعى لزيادته؟!

وإذا كان خبراء (راند) يعترفون بأثر الاستعمار الغربي على المسلمين، ويعترفون بأن الغرب كان خلف فشل الدول الإسلامية في تحقيق النمو والتقدم المواكب للعصر، وأنه هدد سلامة المجتمعات الإسلامية وقيمها، ثم لم يقدم الخبراء أي مقترح لنزع أسباب هذا الأثر، بل توالى المقترحات والخطط على نهج النمط السابق، سوى بعض مقترحاتهم بتحسين الصورة الأمريكية في العالم الإسلامي، وهي مقترحات بتحسين صوري لا يغني عن الحقيقة والجوهر شيئاً.

(١) نفسه: P. 367

(٢) نفسه: P. 33

(٣) A sense of Siege. P. 81

إن عودة الناس إلى دينهم، وتصحيح طريقهم إلى الله تعالى، سنة إلهية، تتجدد كل قرن، سواء وجدت تلك الظروف المشار إليها أم لم توجد، قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»^(١).

وقال رسول الله ﷺ: «لَا يَزَالُ اللَّهُ يَغْرِسُ فِي هَذَا الدِّينِ غَرْسًا يَسْتَعْمِلُهُمْ فِي طَاعَتِهِ»^(٢). قال السندي^(٣) - رحمه الله - في معنى (الغرس) في الحديث: «ولعل هذا هو المجدد للدين على رأس كل مائة سنة ويحتمل أنه أعم فيشمل كل من يدعو الناس إلى إقامة دين الله وطاعته وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه»^(٤).

يقول أحد الباحثين: ربطُ ظاهرة الصحة الإسلامية بالأزمة الاقتصادية غير صحيح؛ لأن صعود الاتجاه الإسلامي برز في نفس الفترة الزمنية التي تميزت بالطفرة والوفرة الاقتصادية، بدرجات متفاوتة في المجتمعات العربية^(٥).

(١) أبو داود ٤٨٠/٤، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المئة، ح ٤٢٩١؛ والحاكم، المستدرک ٤٨٠/٤، ح ٨٥٩٢؛ وقال السخاوي: "وسنده صحيح، رجاله كلهم ثقات"، المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق محمد عثمان الخشت، ط ٢، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤١٤هـ)، ص ١٤٩، ح ٢٣٨؛ وصحح إسناده الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة ١٥١/٢، ح ٥٩٩.

(٢) ابن ماجه ٧/١، أبواب السنة، باب اتباع سنة رسول الله ﷺ، ح ٨؛ وقال أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري: "هذا إسناده صحيح رجاله كلهم ثقات". مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، تحقيق كمال يوسف الحوت، (بيروت، دار الجنان، ١٤٠٦هـ)، ٤/١؛ وحسنه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة ٥٧١/٥، ح ٢٤٤٢.

(٣) محمد بن عبد الهادي التنوي السندي، محدث المدينة المنورة، له حواش على الكتب الستة، ومسنده الإمام أحمد. توفي سنة ١١٣٩هـ بالمدينة رحمه الله. فهرس الفهارس والأثبتات ومعجم المعاجم والمشیخات والمسلسلات، محمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، ط ٢، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٢م)، ١/٤٨.

(٤) شرح سنن ابن ماجه القزويني، أبو الحسن الحنفي السندي، (بيروت، دار الجيل، د.ت)، ٨/١.

(٥) "الأساس الديني في الشخصية العربية"، فرحان الديك، في: الدين في المجتمع العربي، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٠م)، ص ١١٨.

٢- عدم وجود مرجعية دينية مركزية للسنة:

ترى دراسة (العالم الإسلامي بعد ٩/١١) أن غياب مرجعية دينية مركزية للسنة أدى إلى قيام قليلي العلم بتنصيب أنفسهم^(١). على عكس الشيعة الذين طوروا تسلسلاً هرمياً لعلمائهم، فإن السلطة الدينية للسنة سلطة لا مركزية، يقوم العلماء بواجبهم في تفسير الدين ولكن بدرجات متفاوتة، وبطريقة مستقلة عن السلطات السياسية، ويقومون بإصدار الفتاوى؛ وهذا قدّم نطاقاً واسعاً أمام طلبة العلم لتحقيق أهدافهم الشخصية والسياسية باسم الدين^(٢). تختلف المرجعية عند أهل السنة والجماعة عن المرجعية عند الشيعة، بصورة تجعلها تتميز بمزايا، يُحفظ بها الإسلام من التغيير والتبديل والتحريف والتعطيل، ويُحمى بها أهل الإسلام من الانحراف والضلال.

فلم يجعل الإسلام المرجعية للأشخاص بإطلاق، بل جعل المرجعية المطلقة كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، وإليهما يرجع العلماء ومنهما ينهلون، ويرجع إلى العلماء من ليس لديه علم من عامة الناس. وجاء القرآن الكريم صريحاً بهذا، فجعل الطاعة لله تعالى ولرسوله ﷺ، وجعل طاعة أولي الأمر من العلماء والحكام مقرونة بطاعة الله ورسوله، وأمر برد الأمر عند التنازع إلى كتابه وسنة رسوله ﷺ، وأولو الأمر فيما بينهم مأمورون بالتشاور، قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللّٰهِ وَأَطِيعُوا الرّٰسُولَ وَأُولِى الْأَمْرِ مِنْكُمْ ۖ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّٰهِ وَالرّٰسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۝﴾^(٣). «فالآية صريحة في رد كل نزاع إلى الله ورسوله. والرد إلى الله هو الرد إلى كتابه، والرد إلى رسوله ﷺ هو الرد إليه في حياته، والرد إلى سنته بعد وفاته ﷺ»^(٤).

(١) The Muslim World after 9/11. P. xix

(٢) المرجع السابق: P. 39

(٣) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٤) أضواء البيان ٥٥١/٧.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾^(١). وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَتَلَوْا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢). وقال تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُرُوعِي بَيْنَهُمْ﴾^(٣). وقال رسول الله ﷺ: «تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ»^(٤).

وقال رسول الله ﷺ: «(لَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةِ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ)»^(٥).

قال محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: «وأقوال الخلفاء رضي الله عنهم وأفعالهم كلها معروفة مدونة إلى الآن ليس فيها تقليد أعمى، ولا جمود على قول رجل واحد. وإنما هي عمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ومشاورة لأصحابه فيما نزل من النوازل واستنباط ما لم يكن منصوباً من نصوص الكتاب والسنة على أحسن الوجوه وأتقنها، وأقربها لرضا الله والاحتياط في طاعته. وكانوا إذا بلغهم شيء عن رسول الله ﷺ رجعوا إليه ولو كان مخالفاً لرأيهم»^(٦).

وكما أمر الله تعالى بطاعته وطاعة رسوله ﷺ فقد أمر سبحانه بطاعة أولي الأمر، كما مر في الآية، وأولو الأمر هم: «الأمرء والعلماء»^(٧).

(١) سورة الأحزاب، من الآية: ٧١.

(٢) سورة النحل، الآية: ٤٣؛ وسورة الأنبياء، الآية: ٧.

(٣) سورة الشورى، من الآية: ٣٨.

(٤) الموطأ ٦/٢٨٦، كتاب القدر، باب النهي عن القول بالقدر؛ وحسنه محمد ناصر الدين الألباني، (تحقيق) مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله التبريزي، ط ٢، (بيروت ودمشق، المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ)، ٦٦/١، ح ١٨٦، حاشية ١.

(٥) متفق عليه. سبق تخريجه ص ٢٤٧.

(٦) أضواء البيان ٧/٥٥٥.

(٧) تفسير القرآن العظيم ١/٥٣٠؛ وأضواء البيان ٧/٥٥١.

وقال رسول الله ﷺ : «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنْ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ كَانَ رَأْسُهُ زَبِيئَةً»^(١). وقال رسول الله ﷺ : «مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةِ لِقِيَّ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ»^(٢).
 فمرجعية أهل السنة أقوى المرجعيات، لأنها ترجع إلى معصوم، ولا تجعلها إلى غير معصوم إلا مشروطة بطاعة المعصوم، وبهذا يكون حفظ المسلم وحفظ دينه.
 وليس فيها تقليد أعمى ولا متابعة مطلقة، بل تُتَّبَع المرجعية في الصواب، ولا تُتَّبَع في الخطأ والزلل، قال الشاطبي رحمه الله: «زلة العالم لا يصح اعتمادها من جهة، ولا الأخذ بها تقليدًا له، وذلك لأنها موضوعة على المخالفة للشرع، ولذلك عدت زلة، وإلا فلو كانت معتدًا بها لم يجعل لها هذه الرتبة، ولا نسب إلى صاحبها الزلل فيها»^(٣).

فالمرجعية عند أهل السنة موجودة وليست غائبة، ولكنها في هذا الإطار المحكم، الذي يسمح بتعدد العلماء الذين يُرجع إليهم ممن توافرت في حقهم أهلية الاجتهاد، كما يُوجب طاعة أولى الأمر ما لم يأمرُوا بمعصية الله، ويحض على التشاور، والرد عند التنازع إلى الكتاب والسنة.

ولا يُسَلَّم بأن غياب المرجعية الشخصية للسنة يؤدي إلى نشوء التطرف، وأن وجودها سيمنع التطرف؛ فإنه مع وجود المرجعية الشخصية لدى الشيعة فقد ظهر لديهم التطرف والإرهاب. وهذا أمر لا يخفى على (راند)، فقد رصدت الحوادث الإرهابية في العالم، وأنشأت قاعدة بيانات فيها، وكان النصيب الأكبر خلال منتصف التسعينيات الميلادية لصالح إرهاب الشيعة^(٤).

(١) البخاري ١٣٤/٨، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، ح ٧١٤٢.

(٢) مسلم ١٤٧٨/٣، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين، ح ١٨٥١.

(٣) الموافقات ١٢٣/٤.

(٤) ينظر: Lessons of 9/11, Bruce Hoffman, (Testimony), (Santa Monica, Rand, October 2002). P. 3.

المطلب الثاني : الأحداث المتعاقبة (Processes) :

الأحداث المتعاقبة: هي التطورات التي تحدث على مدار فترة زمنية ممتدة، ولها نتائج معيّنة^(١).

وهي: تجديد الدين وعودة الناس إلى الالتزام بالإسلام (البعث الإسلامي)، والتأثير العربي على الدول الإسلامية غير العربية في المجالات العقدية والدينية والاجتماعية، والتمويل الخارجي ل(الأصولية والتطرف الديني)، والتقارب بين الحركة الإسلامية والقبلية، ونمو الشبكات الإسلامية (المتطرفة)، وظهور وسائل الإعلام الشامل، والصراع الفلسطيني الإسرائيلي وصراع كشمير^(٢).

١- تجديد الدين (البعث الإسلامي) (The Islamic resurgence):

شهدت المجتمعات الإسلامية في أجزاء كبيرة من العالم الإسلامي تجديدًا لدينهم، بدءًا من العقد الأخير في القرن الرابع عشر الهجري، الموافق لسبعينيات القرن العشرين الميلادي، واتسم هذا التجديد بمزيد من التدين، والتأكيد على المظاهر الظاهرة للإسلام، مثل ارتداء الزي الإسلامي، وعدم التسامح مع السلوك العلني لغير المسلمين كشرب الخمر على الملأ، والتأكيد بشكل خاص على الهوية التي تقود العملية السياسية^(٣).

٢- التأثير العربي على غير العرب، والتمويل الخارجي ل(الأصولية والتطرف):

تشير دراسة (العالم الإسلامي بعد ٩/١١) إلى أن التأثير العربي على غير العرب أحدث فجوة بين الذين اختاروا الثقافة الدينية العربية في عقيدتهم وسلوكهم، وبين الذين استمروا بالتسّمك بالعادات والممارسات الدينية المحلية، وتعد الأموال الخليجية المحرك الأساس لهذا التأثير^(٤).

(١) The Muslim World after 9/11. P. xviii, 36

(٢) المرجع السابق: P. xix

(٣) نفسه: P. 40

(٤) نفسه: P. xix, 40

وتذكر أن التمويل السعودي، وتصدير النسخة الوهابية من الإسلام^(١)، منذ الستينيات الميلادية من القرن العشرين، كان له تأثير -مقصود أو غير مقصود- في تعزيز نمو (التطرف الديني) في العالم الإسلامي، وقد كان خلفه منظمات مقرها المملكة العربية السعودية كرابطة العالم الإسلامي، والندوة العالمية للشباب الإسلامي^(٢). ويضيف إليها (راباسا): منظمات أخرى إغاثية، وتنموية، ودعوية، تنتمي إلى المملكة العربية السعودية، والإمارات، والكويت، والسودان، وإنجلترا، والولايات المتحدة الأمريكية^(٣).

٣- التقارب بين الحركة الإسلامية والقبليّة:

حيث يمكن أن يكون للثقافة والانتماءات القبلية أثر رئيس في ازدهار أشكال العنف و(التطرف) في بعض أقاليم الشرق الأوسط وجنوب آسيا^(٤).

٤- نمو الشبكات الإسلامية (المتطرفة):

قامت الشبكات الدولية الإسلامية بمهام مهمة في تجديد الدين في السنوات الأخيرة، وفي نمو (التطرف والإرهاب الديني)، سواء كانت تلك الشبكات عاملة في البلدان الإسلامية أم في بلاد المهجر، وسواء كانت إنسانية أم صحية أم مالية، ويركز خبراء (راند) في هذا المجال على المؤسسات الإسلامية الخيرية^(٥).

٥- ظهور وسائل الإعلام الشامل:

تفاقم (التطرف الإسلامي) بعد انتشار البث الفضائي، الذي أدى إلى ظهور الإعلام الإقليمي، وبخاصة ظهور قنوات ذات تأثير جلي، مثل قناة الجزيرة في قطر، حيث أسهمت بنشر آراء بعض الجماعات الإسلامية، ونشر فكرة كون العرب ضحايا. وكسّر الإعلام الجديد

(١) "The Wahhabi version of Islam"

(٢) نفسه: P. 41

(٣) Radical Islam in East Africa. P. 41, 45-46

(٤) The Muslim World after 9/11. P. 43

(٥) المرجع السابق: P. 44-45

احتكار المعلومات الذي كانت تتحكم فيه وسائل الإعلام الخاصة بالدولة^(١).

٦- الصراع الفلسطيني الإسرائيلي وصراع كشمير:

لا يمثل الصراع الفلسطيني الإسرائيلي وصراع كشمير أحداثًا مؤثرة جوهريًا، لكن على الأرجح تمثل تلك الصراعات ظروفًا مستمرة كونت الحديث السياسي في الشرق الأوسط وجنوب آسيا على مدار ما يزيد على نصف قرن، وأعادت تلك الصراعات النضج السياسي في العالم العربي وباكستان بتحويل الإمكانيات النفسية والسياسية والمادية القليلة بعيدًا عن القضايا الداخلية الضاغطة^(٢).

تلك الأحداث المتعاقبة التي تناولتها دراسة (العالم الإسلامي بعد ٩/١١) في هذا المطلب، تبحث في الحقيقة في أسباب صعود الإسلام، ولا تبحث في أسباب التطرف.

(١) نفسه: 46، xx، P.

(٢) نفسه: 49، xx، P.

المطلب الثالث : الأحداث المحفزة (Catalytic events):

الأحداث المحفزة: هي التطورات الرئيسة من الحروب والثورات^(١) التي غيّرت القوى السياسية المحركة في المنطقة أو في البلد على نحو جذري. وهي: الثورة الخمينية الإيرانية، وحرب أفغانستان ضد الاتحاد السوفيتي، وحرب الخليج عام ١٤١١هـ/١٩٩١م، وأحداث ١١/سبتمبر والحرب العالمية على الإرهاب، والحرب في العراق^(٢).

١- الثورة الإيرانية:

أكدت الثورة الإيرانية عام ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م أن (الأصوليين الدينيين) يمكن أن يطيحوا بأي حكومة علمانية قوية بشكل واضح، ويؤسسوا مكانها دولة ذات هوية دينية، ووجد تأثير الثورة الإيرانية في الدول العربية بالشرق الأوسط في الصراع الفلسطيني واللبناني، ولم يكن قبل الثورة للإسلام السياسي (المتطرف) تأثير قوي في تلك الصراعات^(٣).

٢- الجهاد الأفغاني ضد الاتحاد السوفيتي:

استطاع الجهاد الأفغاني ضد السوفييت استقطاب مجموعات من العالم الإسلامي. وكانت نهاية هذا الجهاد التأسيس لجماعات داخلية (متطرفة) حكمت أفغانستان فيما بعد، وجماعات خارجية متطرفة استهدفت تدمير النظم العربية المؤيدة للغرب^(٤)، وهم من أطلق عليهم «الأفغان العرب»^(٥).

(١) ليس منها الثورات العربية مؤخرًا التي ابتدأت بتونس بداية عام ١٤٣٢هـ.

(٢) 37, P. xvii-xix, 9/11. The Muslim World after ؛ وينظر:

More Freedom, Less Terror? P. 127, 149.

(٣) 47, P. 9/11. The Muslim World after

(٤) المرجع السابق.

(٥) 149, P. More Freedom, Less Terror?

والأفغان العرب: مجموعة من المتطوعين العرب، جاهدوا الاحتلال السوفيتي لأفغانستان والحكومة الأفغانية الشيوعية، بداية القرن الخامس عشر الهجري/ الثمانينيات الميلادية. موسوعة الحركات الإسلامية في الوطن العربي وإيران وتركيا، ص ١٦٢.

٣- حرب الخليج عام ١٤١١هـ/١٩٩١م:

وقعت حرب الخليج (تحرير الكويت) عام ١٤١١هـ/١٩٩١م، وقدم الجيش الأمريكي للعمل على تحرير الكويت منطلقاً من الأراضي السعودية، وكان لهذا أثر في حراك فكري مؤيد، وآخر معارض، وتطرف بعض المعارضين بتكفير الدولة السعودية وتكفير علمائها^(١).

٤- أحداث ١١/سبتمبر والحرب العالمية على الإرهاب:

لم تكن أحداث ١١/سبتمبر حادثاً مؤثراً في العالم الإسلامي، لكن الحرب على الإرهاب التي تمخضت عن تلك الأحداث جعلتها مؤثرة؛ هذه الحرب جعلت بعض القطاعات الإسلامية (متطرفة)، أو نشطت المقاتلين المسلمين^(٢). وهم يصفون بـ(التطرف) كل من أبدى اعتراضاً على الحرب العالمية على الإرهاب، أو دعا الدول إلى عدم تقديم المساعدة للولايات المتحدة في حربها على أفغانستان أو العراق^(٣).

٥- حرب العراق:

تعد حرب الولايات المتحدة في العراق المرة الأولى، التي تقوم فيه دولة غربية بفرض قواتها على دولة من الدول الإسلامية بعد انسحاب الاستعمار الأوروبي^(٤). لقد خلفت حرب العراق أثراً سلبية في نفوس كثير من المسلمين على امتداد الشرق الأوسط، وزاد من هذا الأثر ما تتناقله وسائل الإعلام من مشاهد مروعة من القتل والإصابات وإساءة معاملة السجناء^(٥). إن من ينظر في مصادر (التطرف) التي ذكرها باحثو (راند) في المطالب الثلاثة السابقة، ومصادر التطرف عند الباحثين المسلمين، يجد أنه ليس هناك تشابه بينها ولا اتفاق؛ وذلك راجع إلى قضية جوهرية مفصلية، وهي: تحديد ماهية التطرف.

(١) The Muslim World after 9/11. P. 48

(٢) المرجع السابق: P. 50-51

(٣) ينظر: نفسه: P. 51

(٤) نفسه: P. 52

(٥) نفسه: P. 56

فالباحثون المسلمون يبحثون للإجابة عن سؤال: لماذا تجاوز بعض المسلمين ما هو مشروع إلى ما ليس بمشروع؟

أما باحثو (راند) فيبحثون -في الأعم الأغلب- للإجابة عن سؤال: لماذا بدأ بعض المسلمين يعودون إلى دينهم ويتمسكون به؟

فلا عجب أن تختلف مصادر التطرف اختلافاً جذرياً.

إن ما تضمنه هذا المبحث ليؤكد ما جرى بيانه سابقاً^(١) من أن (راند) لا تستهدف الغلو (التطرف) بالمفهوم الشرعي في البحث والدراسة، بل تستهدف عودة الناس إلى دينهم، والتزامهم بكتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ، وهذا هو الغالب في إصداراتهم.

لقد أرادت بعض دراسات (راند) مواجهة السلفية القائمة على كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، وأرادت عرقلة انتشارها، وحصرها وتشويهها، فلم تجد أفضل من وصفها بـ(التطرف) وأنها مصدر رئيس له، وهو المعنى المراد بالتأثير العربي على غير العرب، ويقصدون به الجهود التي قامت بها المملكة العربية السعودية -بالدرجة الأولى- من نشر العلم والدعوة في العالم الإسلامي^(٢).

"ورمي المسلم بالتشدد أو التعصب أو التطرف أو الإرهاب ليس المقصود من ورائه أن يعود المسلم إلى الاعتدال، وإنما المقصود إخماد العاطفة الإسلامية والقضاء على كل مظهر من مظاهر الصحة الإسلامية"^(٣)، وغير ذلك.

ولقد خالفت (راند) أصول البحث العلمي، وبعض معاييرها التي تدعي الالتزام بها، ومنها (الموضوعية)، فلم تُعن بدراسة السلفية -أو غيرها من الدعوات المقاربة لمنهج السلف- دراسة علمية موضوعية، والأثر الإيجابي الذي تُحدثه في الفرد والمجتمع، بل وقفت منها -من أول

(١) في الفصل الثاني: مبحث الإسلام الأصولي، والإسلام المتطرف، والإسلام المعتدل؛ وفي الفصل الخامس: المبحث الثاني، وغيرها.

(٢) ينظر: The Muslim World after 9/11. P. xx

(٣) سموم العلمانيين، ص ١٤-١٥.

وهلة- موقفًا معاديًا، ونتج عن هذا الموقف: اتهام السلفية -أولاً- بالتطرف؛ من أجل تشويهها، وانحسارها، وحصرها، والقضاء عليها.

وعلى الرغم من أن دراسة (العالم الإسلامي بعد ٩/١١) قد دعت -بعد أن ذكرت أصول مصادر التطرف- إلى «تكوين استراتيجية تجاه العالم الإسلامي، من شأنها أن تساعد على تحسين الأوضاع التي تنتج (التطرف الديني) والسياسي، وتنتج المواقف المناهضة للولايات المتحدة»^(١). إلا أنه يُلاحظ في الدراسة وفي دراسات (راند) بعامة غياب الحديث عن معالجة حقيقية عادلة للتطرف الناشئ عن الأسباب الغربية، وبخاصة الأسباب الأمريكية، من التدخل في الشؤون الداخلية للدول، وفرض القيود والحصار على بعض الدول، ونحو ذلك.